سميح القاسم

عجائب قانا الجديدة..

(سَرْبِيَّة)

سميح القاسم

عجائب قانا الجديدة...

(سربية)

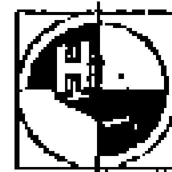
2006

منشورات إضاءات

هاتف: 00972524281464

E-mail: ali.abasi@yahoo.com

2006



الحكيم للطباعة والنشر م.ض.

الناصرة – تلفون: ٠٤-٦٤٦٦٣٣٣

أنا كفُّ يَدْ

فقدتُ يديَّ. فقدتُ الجَسَدْ

أنادي. أنادي. وما من أَحَدْ

أنا كفُّ يَدْ

وعمري ثلاثُ سنينْ

تكسَّرَ عظمي القليلْ

وضاعَ فمي في الركامِ الثقيلْ

ولا أستطيعُ الصلاةَ ولا أستطيع الدعاءَ ولا أستطيعُ الأنينْ

فكيفَ تئنُّ. إذن. كفُّ يَدْ

وكيف تنادي؟ وماذا تنادي؟ ومنذا تنادي؟

وما من أَحَدْ..

* * *

أنا دُميةٌ ضائعه

يسيلُ دمي في الخرابِ

ولا أستطيعُ الكلامَ وشكوى العذابِ

لصاحبتي الطفلةِ الحلوةِ الرائعه

وها أنذا أستغيثُ. وما من جوابِ

أنادي. لأني فقدتُ صوابي

أنادي. وصاحبتي لا تردُّ. تقولون ماتت

وصاحبتي لا تموتُ. هي الآن تحت الركامِ

بقربي. فيا ليتها سامعه

صديقةُ عمري. حبيبةُ روحي.

ويا ليتها سامعه

لتنهضَ في صرختي ولتنهضَ

بي وبكم. وبتوقِ السماءِ

إلى نجمةٍ طالعه

على رحمةِ الخالقِ الواسعه..

* * *

لعبتَ كثيراً. ولكن تعبتَ قليلاً.

لعبتَ. تغبَّرَ صندلكَ الفوضويُّ الجميلُ

تمزَّقَ عنكَ القميصُ الملوَّن بالقمحِ والوردِ

فاهدأ قليلاً. وكُفَّ عن اللعْبِ في الملجأ الضيِّقِ

ستُقبلُ أجنحةُ الموتِ من أُفقكَ الأزرقِ

لتُغلقَ وردةَ حلمكَ.. في قبوكَ المغلَقِ

على فمكَ الميِّتِ المُطبَقِ

ولا تستغث يا ولدْ

فما من رفاقٍ وما من زقاقٍ وما من بلَدْ

وما من أحَدْ

وما من أحَدْ

* * *

لماذا تصيحُ عناقيدكَ المهمَلَهْ

ومنذا تُكلِّمُ يا كَرْمُ؟

منذا تخاطبُ يا شجَر التينِ؟

منذا؟ وتعرفُ أنك تجهلُ

قاموسَ ضيفتك القنبلَهْ

وتسقطُ في ورطة الأسئلَهْ

وفي المحنةِ المهزلَهْ

على أُمّةٍ مُثقَلَهْ

ولا شيءَ فيها سوى البسملَهْ

وما في يديها سوى الحوقلَهْ

إذا فاجأتْها صروفٌ

وإن داهمتْها ظروفٌ

ولم تستطعْ كبحها طفلةٌ

ولم تستطعْ وردةٌ

ولم تستطعْ سُنبلَةْ..

* * *

أنا ولدٌ من ضواحي الجنوبِ

يدرّبُ قلبَهْ

ليُنجزَ في غفلةِ الموتِ لُعبَهْ

ويَعبرَ في ساعة القصفِ رُعبَهْ

أنا ولدٌ من ضحايا الجنوبِ

أُصارحكُم باستيائي وخوفي وشكّي

بأن الصواريخَ تقذف أشلاءَ لحمي

إلى جُرْنٍ كُبَّهْ

أُصارحكم بانكسارٍ.. وأبكي

فمن يستعدُّ؟ بأيّةِ أُهبَهْ

لانقاذ لحمي ولحم الجنوبِ

وكلُّ الجهاتِ.. سواي، تعيشُ على رِسلها

وتمضي على مهلها

بأوضاعها المستتبَّهْ

وأمضي بلحمي وحلمي

وخوفي وضعفي ويُتمي

إلى جُرن كبَّهْ

يدقُّ بإيقاعِ نَكبَهْ..

أنا الولدُ المستباحُ من البلدِ المستباحِ

ويُخجلني أنني أستغيثُ

وها أنذا أستغيثُ

برُعبي المتاحِ

فما من شعارٍ لديّ

وليست لدى شفتيّ

قصيدةُ شعرٍ.. وخُطبَهْ

وليس لدى عنفواني الصغيرِ

وخوفي الكبيرِ

حماسُ الأناشيدِ واللغةِ المشرئبَّهْ

وقبَّةُ موتيَ حَبَّهْ

فلستُ سوى ولدٍ من ضحايا الجنوبِ

ولم أدرِ. لم أدرِ أن حياتي.

وحلمي. وموتي.. ذنوبي!

* * *

على مسكب الوردِ جثّةُ أمٍّ جديدَهْ

وفي الرحم جثّةُ حُلم جديدٍ

وفي ساحةِ البيتِ ما تنثر الريحُ

من ورق الوردِ بين اصطفاقِ الغسيلِ،

ومن صَفَحاتِ الجريدَهْ

وجثّةُ زوجٍ جديدٍ

وصرخَةُ بنتٍ وحيدَهْ

وفي القلبِ ما لمَّ القلبُ من أمنياتٍ طريدَهْ

وبعضُ الأغاني الشريدَهْ

على الطرقاتِ البليدَهْ

وفي الشُّرفات البعيدَهْ

وفي القلبِ نبضٌ تلاشى

يحاولُ أن يستعيدَهْ

وأشلاءُ رؤيا جديدَهْ..

* * *

هنا الأرضُ. موحشةٌ فارغَةْ

وبعضُ الكلابِ الشريدةِ في دمها والغَةْ

هنا الأرضُ. من مجلسِ الأمنِ تمضي

إلى مجلس الأمنِ يُهرَعُ من وصمةٍ دامغَةْ

إلى وصمةٍ دامغَةْ

إلى وصمةٍ دامغَةْ

ومن عالَمٍ قاصرٍ قاصرٍ

إلى محنةٍ بالغَةْ

هنا الأرضُ في الأرضِ في الأرضِ فارغةٌ فارغَةْ..

* * *

لبيروتَ ميعادُها المتجدِّدُ

ما بين قانا وقانا

وللقدسِ ميعادُها المتجمِّدُ

هاجرُ تبحثُ في ورقِ التينِ عن عفَّةٍ ضائعَهْ

ولي أملٌ في ملاكٍ جديدٍ،

يجوبُ سماءَ دمي السابعَهْ

ويلقي زهورَ السماءِ

ويلقي سلامَ الهوى والهواءِ

ونُعمى الهباءِ

ومعنى البهاءِ

على جُثتي الهاجعَةْ

ومنذا أكونُ أنا؟ما تكونُ

شظايا عذابي وصمتي وبيتي وموتي

وأهلي ونسلي وظلّي

سوى الكلماتِ الجديدةِ

في مُعجم الفاجعَة؟!

ومن نحنُ؟ ما نحنُ؟ هل نحنُ من نحنُ؟

مـأربِنا انهارَ مثنى. ثُلاثَ. رُباعَ.

تفرَّق نسلُ الفجيعةِ أيدي سَبَأْ

وفينا تجمَّعَ شملُ الخطأْ

خرائطُنا لم تصُغها طموحاتُنا.

صاغَها الأجنبيُّ الغريبُ المقيمْ

ونحنُ حفظنا الخرائطَ عن ظهرِ قلبٍ

حفظنا كلام الصديقِ العدوِّ الرجيمْ

وسرنا كثيراً. وسرنا طويلاً،

وما من صراطٍ بنا يستقيمْ

أقِلنا إذن ربَّنا

ويسِّرْ لنا دربَنا

فمنذا سواكَ المغيثُ المعينُ الكريم الرحيمْ؟

أغِثنا.. فما كلُّ هذا الخرابْ

وما كلٌّ هذا العذاب

وهذا الضباب وهذا السراب

وما كلٌّ هذا المصاب. وهذا المصاب

وهذا المصاب

أغثنا.. وشكراً

وشكراً جزيلا

لأنك تسمع هذا القتيلَ وهذا القتيلَ

وهذا القتيلَ وذاكَ القتيلا

وشكراً جزيلا..

وهل نحنُ من نحنُ؟ أم نحنُ ما نحنُ

أم نحنُ لا نحنُ؟ أو نحنُ..

كيفَ أصوغُ السؤالْ

وكيف أقول الذي لا يُقالْ

وكيفَ أُفسِّرُ عمقَ الحياةِ بضيقِ المجالْ

وكيف أُبرّرُ قوتي ومائي

وكيف أُبرِّرُ أنّي تنفَّسْتُ،

كيفَ أفسِّرُ كوني حصلتُ

على حصّةٍ من هواءِ

وحقٍّ البقاءِ

بهذا السقوطِ وهذا الخمولِ وهذا الضلالِ

وهذا الهزالِ وهذا الخواءِ؟

إلهي أعنّي

أعنّي على كبريائي

على نارِ حزني وخوفي وشكّي وظنّي

وموتِ المقاتِلِ فيّ

وموتِ المزارع فيّ

وموت النبيّ

وموتِ المغنّي

إلهي. إلهي. أغثني

من الغضب الفاضح الفوضويّ

وسخط الحبيب الوفيّ

على ما يكابدُ قلبُ الشقيّ وروحُ الشقيّ

إلهي أعنّي

على العربيّ الأخير الذي ظلَّ فيّ

أعنّي عليّ

أعنِّي عليّ..

* * *

لماذا؟

لماذا تدقُّ حوافرُ صهيونَ أبوابَنا

وكيفَ يطالبُنا الموتُ بالصمتِ والسمع والطاعةِ المزريه

ونحنُ كما نحنُ دون سلامٍ ودونَ كلامٍ

وما من طعامٍ

ولا أغطيه

ولا أدويه

لماذا تطاردُنا الأُحجيه

لماذا تدقُّ قنابلُ صهيونَ أبوابَنا

وللفُرس والتُّرك ما للفرنجةِ والرومِ،

خيلٌ ونارٌ تهدّد أعتابَنا

ونحن كما عهدتنا القرونُ

نواجهُ بالوردِ أعداءَنا

ونذبحُ بالودِّ أحبابَنا

وحين تشبُّ بنا النارُ نبكي

ونُهدي إلى النارِ أحطابَنا

هنا الأُحجيه

هنا الأُحجيه

هنا يغضبُ الموتُ من موتنا

وتنفجر الريح والروح والأُغنيه

على الصمت والسمع والطاعة المزريه

وتبقى التفاصيلُ تبقى الأحابيلُ تبقى الأقاويلُ

تبقى الأباطيلُ تبقى المواويلُ مضحكةً مُبكيه!

* * *

إلى أين تفضي القذائفُ؟ من أين ندخل هذي الزواريبَ،

لحمُ الشوارعِ مزّقَهُ القصفُ. وانهارَ بابٌ على لحمِ بابْ

كلابٌ. كلابٌ. كلابْ

أبي ماتَ

بَيّي.. أنا فاديه!

وتمضي الكلابُ إلى صدفةٍ ثانيه

وشيخٌ عجوزٌ مُسجّى وراءَ جنونِ السؤالِ وفوضى الجواب

أبي.. أنتَ حيٌّ وميْتٌ

أنا.. فاديه!

أبي نسيَتْنا القذائفْ

ولم تكتسحنا العواصفْ

وها نحنُ في هذه الزاويه

نموتُ ونحيا.. لمجزرةٍ آتيه

أبي نحنُ نحيا.. ونحنُ نموتُ، على رحمة الرحمةِ الباقيه

وتمضي الكلابْ

إلى خرقةٍ من ثيابْ

على كومةٍ من عذابْ

على جثّةٍ باليه

على شرفةِ العالم الكابيه

وأخلاقهِ العاريه

وأنقاضِ تاريخه الهاويه

من الخُطَب المنتقاةِ بحرصٍ شديدٍ،

صياغاتُ ألفاظها الراقيه

ومن حولها انتشرتْ جُثثٌ لا تليقُ

بأهلِ المناصبِ والرُّتب العاليه

أبي أنت حيٌّ وميتٌ.. وميتٌ وحيٌّ

بايقاعِ زحفٍ جديدٍ معزَّزْ

وقصفٍ مركَّز

يُهيل جميع النواحي إلى هذه الناحيه

لأنّا.. لأنّا..

لأنّا.. من الفرقةِ الناجيه

ومن دولةٍ نائيه

يسمّونها ڤنزويلا..

أبي.. سنموتُ ونحيا،

لأنّا نموتُ بضربةِ طيشٍ،

وقاتلُنا يا أبي سيموتُ بعزلة شهوته القاسيه

يموتُ بحكم القضاءِ،

ولكن.. بضربتنا القاضيه!

* * *

نبيذٌ من الدمِّ. تلك عجيبةُ قانا الجديدَهْ

وللماءِ رؤيا المسيح القديم الجديدِ

وكأسٌ نبيذ القصيدَهْ

لعرسِ النوايا وورد الدماءِ وقمح العقيدَهْ

نبيذٌ من الماءِ؟ شكراً

نبيذٌ من الدمِّ؟ عذراً

لريِّ الشهيدِ ارتواءُ الشهيدَهْ

وتدنو من الأرضِ. حزناً فحزناً.

سحابةُ غيثٍ بعيدٍ. برشفةِ ماءٍ بعيدَهْ

لميلاد قانا جديدَهْ

وقانا سعيدَهْ..

* * *

ملاكٌ صغيرٌ جميلٌ

يفتّش عن غيمةٍ يستريحُ عليها

بعيداً عن الطائراتِ

وعن جلبة الكائناتِ

وعن نزق القاذفاتِ

فما من ذكاءٍ يقود الصواريخَ. ما من ذكاءْ

ستقتُل في الأرضِ أحبابَهُ

وتُزعجُهُ في السماءْ

ويبقى الملاكُ الصغيرُ الجميلُ

ملاكاً صغيراً جميلاً

ويبقى حزيناً بعيداً

وراءَ الوراء وفوق الوراءْ

ويبقى الحزانى العرايا الضحايا

بدونِ ملاكٍ. ودون غطاءْ

أمامَ الوراءِ وخلف الوراءِ وتحتَ الوراءْ..

* * *

هدوءٌ على جبهةِ السخرياتِ

وصمتٌ مُواتِ

لتنسى الذراعُ الذراعَ التي غادرتْها

وينسى القتيلُ القتيلَ. وتنسى الدروبُ

حظوظَ الجهاتِ

هدوءٌ. فما من هديرٍ وما من أزيزٍ

وما من لغاتِ

هدوءٌ..

وتحجُبُ قلبي حروفُ الصَّلاةِ

ومن بعدُ. لا ضعفَ. لا خوفَ. لا يأسَ. لا بأسَ

يفتحُ ذاتي مغاليقَ ذاتي

ويفضحُ حزني سراديب حزني وألغازَ موتي

غريباً بعيداً عن الحلم بالضوءِ والصوتِ

واللونِ والذكرياتِ..

وإن كانَ لي أن أعيشَ. فلا تُكرهوني

على أن أعيشَ بما ترغبونْ

وإن كان لي أن أموتَ. فلا تُكرهوني

على أن أموتَ كما تشتهونْ

أعيشُ إذا كان لي أن أعيشَ.

أعيشُ بما ترفضونْ

وإن كان لي أن أموتَ. فإني أموتُ

بما تجهلونْ

إذن فاهدأوا. واربأوا. واطربوا.

واغضبوا. واذهبوا

إلى حكمةٍ. أو جنونْ

ولا. لن أكونْ.

بغير الذي أشتهي أن أكونْ!

* * *

هو الطقسُ. أخلاقُهُ قُلَّبٌ كالفصولْ

وكالناسِ بين الشروقِ وبين الأفولْ

وبين الفروعِ وبين الأصولْ

وماذا أقولْ؟

رذاذٌ على الوجهِ. طيرٌ غريبٌ يحومُ على التلِّ.

بنتٌ تدندنُ لحناً غريباً حزيناً. وتبحثُ عن

حفنةٍ من بقولْ

وبعضِ زهورِ الحقولْ

ويهبطُ بي درجُ البيتِ للصمتِ. يهبط جسمي

بعكّازِهِ في الظلام الثقيلْ

إلى قعرِ بئرِ الذهولْ

فماذا أقولْ

لهذا الرَّذاذِ؟ لطيرٍ غريبٍ عجيبٍ؟ لبنتٍ

تدندنُ؟ ماذا أقولْ

وكيف يردُّ القتيلُ على ما يبوحُ القتيلْ؟

إلهي أعنّي

إلهي أغثْني

وسدِّد خطايَ إلى ما تشاءُ خطاكْ

وأرشِدْ حبيبي الملاكْ

إلى لحظةٍ آمنه

على غيمةٍ كامنه

هنا.. أو.. هناكْ

وأنزلْ هداكَ على العالمينَ وأجزلْ رضاكْ

فنحنُ سوانا..

وما من سواكْ

ما من سواكْ

ما من سواكْ..

* * *

سنخرجُ من محنة الحرب نخرج بالموت أو بالحياة

وحقّاً نقومُ

وفينا يقوم المسيح وفينا يقوم المحمَّدُ من موتنا

في الحياةِ وترضى السماوات والأرضُ عنا وربٌّ

الخليقة يمسح بعض الخطايا الصغيرة يصفح بعضَ

الذنوبِ البريئةِ، يفتحُ باب العجيبة رحباً

مضيئاً وعرسُ الحياة يدوم وإكسيرها يُستعادُ

وحقّاً يدومُ

ويفرحُ قمحٌ ويُزهرُ جُرحٌ وتزهو نجومُ

ويصحو فضاءٌ فما من نيازك تهوي علينا وتنسى

الطريقَ إلينا رجومُ

ويعطي السلامُ السلامَ ويهدي الهدوءُ

الهدوءَ ويصدحُ فينا النماءُ وينزحُ

عنا الوجومُ

ونفطر بعد الصيام بخيرٍ وعن كلّ شرٍّ نصومُ

وحقاً نقومُ

وحقا ندومُ

إذن فليكن

يعذبني العرب الضائعون ويقتلني الضائعون اليهودْ

إذن فليكن

مدىً ليلكٌ

يضيع به صالحٌ في ثمودْ

وبعد انطفاءٍ يقومُ

وحقاً يعودْ

وحقاً يدومُ..

* * *

تغيبُ طويلاً عن الوعي. أُعطيكَ ماءً تقول شبعتُ

وأعطيكَ خبزاً تقول ارتويتُ. وأهديك ورداً تقولُ

قُتلتُ وأُهديكَ صحواً تقول سكرتُ. وأعلمُ أني

أغيبُ طويلاً عن الوعي تُحضرُني فأغيبُ وتقتلُني

فأعيشُ وتطعمني فأموتُ. ومن أنتَ حتى تغيبَ

طويلاً عن الوعي؟ من أنتَ حتى أغيبَ طويلاً عن

الوعي؟ هل أنتَ من كنتُ أم أنتَ ما

صرتُ أم نحنُ من كنتَ حتى نغيب عن الوعي

قل لي وما من كلام

عليكَ السلام

لأني مللتُ المقامَ وأنت مللتَ المقامَ

ونحن مللنا المقام

وحلّ علينا الظلام

وحلت بداياتنا في الختام

فلسنا نغيب طويلاً: نغيب عن الوعي. لكننا لا

نغيب طويلاً..

علينا السلام علينا السلامُ علينا السلام

عجيبتُنا أننا ما رحلنا

رفضنا الرحيل القديمَ ونرفض إغراءَنا بالرحيل الجديد

ونرفض كلَّ الوعيد

بكلِّ اللغاتِ، رضينا به وطناً من نضارٍ ونرضى

به وطناً من حديد

ونرضى به باقةً من زهورٍ ونرضى به ندبةً من صديد

وليس لنا غيرهُ

وليس له غيرنا

وعن دربنا لا يحيدُ وعن دربِهِ لا نحيد

يريدُ أخٌ أو عدوٌّ لدود

يريدُ أخٌ أو عدوٌّ يريدُ ونحن نريد

ونحن الكلامُ المفيد

ونحنُ الكلامُ الأكيد

ونحن الكلامُ الوحيد

وما من قيودٍ وما من سدود

تضلّل حكم الحياة السديد

وتكسر حلم الحياة العنيد

وعن دربه لا نحيد

وعن دربها لا نحيد

وعن دربنا لا نحيد..

* * *

أتعلمُ يا سيد الحرب والبحر والجوّ والبرِّ؟ أنت تغوَّلتَ

جيشاً وأنتَ توغَّلتَ طيشاً وبطشاً. وأنت تسحّ

دُموعاً عليكَ

وتنفضُ نار دمي عن يديكَ

وتبكي بكاءً وتندبُ ندباً وتحزنُ حزناً على أبويكَ

ولعنة أمي وشعبي ووجهي

عقاربُ تلدغُ من شفتيكَ

أتعلمُ؟ أنت تغوّلت جدّا

وأنت توغَّلتَ جدّا

أتعلمُ؟ هذا دمي.. وبلحمي..

رسمتُ على الرملِ حدّا

وفي الصخر وعْدا

وفي الطينِ ردّا

وأقسمُ.. هذا دمي.. وبلحمي وحلمي

أنا أتصدى

وأقسم.. هذا دمي.. وباعصار زهري

وأزهار فجري

ونيرانِ شعري

وأنوار شعري

وعيني وظفري

وكفي وصدري

أنا أتحدى

أجل أتحدى بلى أتحدى

أنا أتحدى..

* * *

وتنذرُ صفّارةٌ باقترابِ الصواريخ ينبض قلب الملاجيءِ

بالناس. لكنّ سرب الطيور المروّعَ يجهل سرّ الصواريخ

يجهل لغز الملاجيء. ماذا إذن؟

أليس لسرب الطيور ووحش الوعور ملاذٌ

أمينٌ بهذا الوطن؟

وماذا إذن؟

أتدفع حتى الطيور وحتى الوحوش، أتدفع

هذا الثمن؟

لماذا؟ وكيف؟ وأينَ؟ ومن؟

وأيةُ أرضٍ؟ وأيُّ زمن؟

تخافُ الطيورُ. وتخشى الوحوش. أجل إنما

تستطيع الرحيلَ بدون دموعٍ ودونَ صلاةٍ

ودونَ كَفَن..

وبعضُ المحن

عزاءٌ لبعضِ المحن

لماذا؟

لهذا!

* * *

أنا عينُ طفلٍ سقطتُ على الرَّدم من وجهِ طفلي

ولستُ أرى أيَّ ضوءٍ ولا أيَّ ظِلٍّ

لأني حُكمتُ بقصفي وقتلي

على نور وجهي وفي حضنِ أهلي

أنا عين طفلِ

وأذكر أني رأيت الدمى قبل سَمْلي

وأبصرتُ حولي

وجوهاً تفيضُ بهاءً وحبّاً

وأذكر أن المرايا تباهت كثيراً بشكلي

وأذكر بسمة أمي

وأذكر وجه أبي حين سمّى عليَّ وراحَ

يُصلّي

لأجلي

أنا عينُ طفلٍ

مجرّدُ عينٍ أرادت نجوماً وبيتاً وحرفاً

وزهرةَ فُلٍّ

أنا عينُ طفلٍ

أرادت كثيراً ونالت أقلَّ الأقلّ

لأني فُقئتُ

بأحضانِ أهلي

لماذا؟

لماذا؟ لماذا؟

* * *

رنينُ الصهاريج من خيبة الماءِ. لا ماءَ يا ابني

ولا خبزَ.. كعكُ ماري أنطوانيت ليس

جهلاً وخبثُ ماري أنطوانيت ليس كعكاً.

وجهلي وخبثي رنينٌ وخيبةُ مائي عذابٌ

وويسكي وكونياك وڤودكا وكولا وپيپسي الشَّرابُ

وكأسُ الحليبِ السرابُ

ويا أيهذا الغلامُ الجنوبيُّ لا ريَّ في الدمعِ

والدمِّ لا ريَّ يا ابني. صهاريجُ حزني وخوفي

ترنُّ ودعوة قلبي وروحي ترنّ.. ترنّ.. ترنّ

ولا تُستجابُ

وصوتي حريقٌ. وصمتي خرابُ

وكلُّ الذين أنادي وأرجو وأطلبُ غابوا

وغابوا

وكالملحِ في قهوة الصبحِ ذابوا

ورنّوا وذابوا

ورنّوا.. وغابوا..

لماذا؟ لهذا!!

* * *

أهذا الذي أنتظروه مراراً لكي يمقتوه مرارا؟

ملوكُك يا صورُ أم أهلُ صيدونَ ملّوا انتظارا

وملّوا جواراً وجارا

وملّت حقول البقاعِ

وملّت عمامة صنّين ملَّت عناقيد زحلة ملَّت

رؤى بعلبكّ وملَّ الجنوبُ وملَّ الشمال حصاراً

يفكُّ حصارا

وملَّ الدمارُ الدمارا

أهذا الذي انتظرته أميرات بيروت في حلم

قانا وعكار في وهم عامل والمتن والشوف

في صيف جزين في شطٍّ جونية في ما تمنّت

طرابلسُ.. منذا أعدَّ أكاليلَ غارٍ لجبهة

تموز يوم يعود بسلّ الثمار ومنذا أغارا

ليدميَ جبهة تموز محلاً وينثر بين الركام الثمارا

ومنذا استفزّ الرياح وهزَّ الجراحَ ومنذا على

الجار جارا؟

ومنذا تحدّى ومنذا تعدّى ومنذا أعدَّ وشدَّ وردَّ

ومدَّ وصدّ ومنذا استفزَّ ومنذا استثارا؟

ومنذا استطالَ

وصال وجال ومار وماري؟

وقرَّب ليلاً وأقصى نهارا؟

ومنذا.. ومنذا.. وماذا؟!

لماذا؟ لماذا؟.. لهذا!

* * *

إذن هذه الحرب مبتدأٌ والسلامُ الخَبرْ

وعُسر الهلاك قضاءٌ ويُسر الدمارِ القدرْ

وبرقُ الرصاص ورعدُ القنابل وَحْيُ المطر

وما يحفر اللغمُ في الحقلِ توقُ البذور وحلمُ الشَّجَرْ

وما من خرابٍ وما من عذابٍ وما من ضَرَرْ

وللموتِ حقُّ الحياةِ،

فمن وَرَدَ الأرضَ عنها صَدَرْ

ويبقى أثر

ومن يقربون الصلاةَ سكارى يدسّون ما لم يَردْ في السّوَر

ولا من يصدُّ ولا من يردُّ

ويُعزى التغاضـي لطول الأناة

ويعزى التعامي لبعد النَظَرْ

فقلبُ الحقيقةِ ماءٌ ووجه الوضوحِ حَجَرْ

ويمحى الأثر

فما من سؤالٍ وما من جوابٍ وما من حوارٍ وما من حذر

وما من كلامٍ وما من معانٍ وما من صور

ويعبر ظلُّ الغبار ويمضي غبار العِبَرْ

ولله يُرجَعُ كلُّ البشر..

ويُرجع لله كلُّ البشر

ولله لله كل البشر..

* * *

لتبغ البقاع عجيبةٌ هذا الدخانْ

وهذا الدخانُ عجيبةٌ تلك الحرائقْ

وبضعُ دقائقْ

تذرّ رماد العجائب ملءَ عيون الزمانْ

ويهمي علينا رماد العجيبه

وتزحف شكاً وريبه

عصا الأفعوان

وتبغ البقاع يحط دخاناً

على الشرفات القريبه..

ويهمي علينا دخان الدُّخانْ

ويهمي البقاع على ساحة الساخن الطازج الأرجوانْ

ويهمي علينا الضياعُ ويهوي الظلامُ

ويهوي العذابُ ويهوي الهوانْ..

على ساحة الحبّ والوردِ والعنفوانْ..

ونهوي إلى اللازمانْ

ونهوي إلى اللامكانْ

ونهوي.. ونهوي.. ونهوي

* * *

مراكبُ فينيقَ جاهزةٌ بالزجاج المفاجيء عامرةٌ بالحليّ

وحمّى القلوعْ

تُشجِّع حمّى الضلوعْ

على طفرةٍ في المجاهيلِ، فينيق يزهو بفنّ

الجموحِ. وقلبُ أوروپا انبهارٌ ووجهُ

أوروپا خُشوعْ

أعدّي لبحّارة الشرقِ يا أرضَ لبنانَ

خبزَ الرحيلِ وماءَ الرجوعْ

أعدّي. وكيف تُعدّين والزحفُ والقصفُ

ليلٌ تفخّخُهُ الشبهاتُ وما من سراجٍ وما

من شـهابٍ وما من شموعْ

وراياتُ جيشٍ غريبٍ عجيبٍ تسدّ على

الشمسَ أفقَ الطلوعْ

وتمحو زهور الكلام وتمحو بذار السلام

وتمحو ابتهالات موسى اليهوديّ تمحو دعاءَ

محمَّدٍ العربيّ وتمحو وصايا يسوعْ

وتَغْرقُ في البحرِ تغرقُ فينا مراكبُ فينيق تَغرقُ فينا ونغرقُ

فيها لنرفع مدّاً من القاع مدّاً جديداً تضيء لآلئه ليل

فينيقَ مدّا وضيئاً بطهر الدماءِ وقدسِ الدموعْ

ومعجزةُ الله تظهرْ

وينتصر الله.. والله أكبرْ..

* * *

إذا كان للعُرس أن يستمرَّ فلا بدّ أن يستمرَّ

ولا خمرَ

يا سيد العرس قانا فقيره

وقانا عيونٌ بصيره

وأيدٍ قصيره

وبين يديك المصير وبين يديك الخميره

وبدء المسيره

وبين يديك عجيبةُ ماءِ النبيذ المقدّس

بالحبّ والخير والسلم يا سيّد الحب والخير

والسلم إن كان للقصفِ أن يستمر فلا

بدّ للعرس أن يستمرَّ

ولا خمرَ

لا بأس لا يأسَ

فأنا الحبيبه

تبارك فيك العجيبةِ عرساً يزفّ الحياة

الخصيبه

إلى أمّة، عُرسها لا يكلُّ

وأفراحها لا تملُّ

وحرّية الروح في روحها لا تضلّ ولا تضمحلُّ

ومنك العجيبةُ تلو العجيبة تلو العجيبه

وأمتنا زوّجتها الحياة جموح الحياةِ

وأمتنا مستجيبه

ومنك العجيبه

وفيها العجيبة تلو العجيبة تلو العجيبه

* * *

يراوغني الموتُ حيّاً معافىً

وصاحبةُ المجدِ . تلك التي في القواميس

تدعى الحياةَ ، تراوغُني في صلاتي الأخيرةِ

في آخر الأمرِ. في بادئِ الموتِ . أُمي

تُصلّي لأجليَ . من موتها

وينصحني والدي باحترام الحياةِ القليلةِ. من موتهِ

وأبكي على والديّ

وأبكي عليّ

وأبكي الحياةَ على الموتِ . والموتَ في عنفوانِ الحياةِ

وحلمَ الجنينِ الخفيّ

وأبكي. لتضحكَ بعدي الحياةُ

وتضحكَ سنبلةٌ في الجحيمْ

ويضحكَ شعبٌ يقاومُ موتَ الشعوبِ

وموتَ الحياةِ

ويمشي شجاعاً جميلاً

ويمشي مضيئاً صراط دمي المستقيمْ

وحيّاً أُقيمْ

وميتاً وحيّاً أُقيمْ

وأُعلنُ أني تشيّعتُ للسّنة الظافرهْ

على دين حرّية الصاعدينَ

إلى مذهب الأمم الثائرهْ

وأشهدُ. أشهدُ. أنّي أُقاومُ موتي

أُقاومُ موت الشعوبِ

أقاومُ موتَ الزهورِ وموتي

وموتَ الطيورِ وموتي

وموتَ السلامِ وموتي

وموتَ الجَمالِ وموتي

أقاومُ موتَ الحياةِ،

بميلادِ قانا الجديده

ونار العقيده

ونور القصيده

أُقاومُ موتَ الحياةِ،

بنار الحياةِ ونورِ الحياةِ

وحُلم الحياةِ العظيمْ...

بحلمِ الحياةِ العظيمه

وموت الجريمه

بنور الصراط العزيز البهيّ الجميل القويّ

صراط دمي المستقيمْ..!

صراط الدم المستقيمْ..

(الرامة– قرطاج تموز– آب 2006)

ألطبعات الأولى

لأعمال سميح القاسم

1) مواكب الشمس– قصائد– مطبعة الحكيم– الناصرة 1958

2) اغاني الدروب– قصائد– مطبعة الحكيم– الناصرة 1964

3) إرَم – سربية– نادي النهضة في ام الفحم– مطبعة الإتحاد– حيفا 1965

4) دمي على كفّي– قصائد– مطبعة الحكيم– الناصرة 1967

5) دخان البراكين– قصائد– شركة المكتبة الشعبية– الناصرة 1968

6) سقوط الاقنعة– قصائد– منشورات دار الآداب– بيروت 1969

7) ويكون أن يأتي طائر الرعد– قصائد– دار الجليل للطباعة والنشر– عكا 1969

8) إسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل– سربية– مطبعة الحكيم– الناصرة – 1970

9) قرقاش– مسرحية– اصدار المكتبة الشعبية في الناصرة– مطبعة الاتحاد– حيفا– 1970

10) عن الموقف والفن– نثر – دار العودة– بيروت 1970

11) ديوان سميح القاسم– قصائد– دار العودة– بيروت 1970

12) قرآن الموت والياسمين– قصائد– مكتبة المحتسب– القدس 1971

13) الموت الكبير- قصائد- دار الآداب- بيروت 1972

14) مراثي سميح القاسم- سربية- دار الآداب- بيروت 1973

15) إلهي إلهي لماذا قتلتني؟- سربية- مطبعة الاتحاد- حيفا 1974

16) من فمك أدينك- نثر- منشورات عربسك- مطبعة الناصرة 1974

17) وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم!- قصائد- منشورات صلاح الدين - القدس 1976

18) ثالث أكسيد الكربون- سربية- منشورات عربسك- مطبعة عتقي- حيفا 1976

19) الى الجحيم ايها الليلك- حكاية- منشورات صلاح الدين- القدس 1977

20) ديوان الحماسة (الجزء الاول)- قصائد- منشورات الأسوار- عكا 1978

21) ديوان الحماسة (الجزء الثاني)- قصائد- منشورات الأسوار- عكا 1979

22) أحبك كما يشتهي الموت- قصائد- منشورات ابو رحمون- عكا 1980

23) الصورة الاخيرة في الألبوم- حكاية- منشورات دار الكاتب- عكا 1980

24) ديوان الحماسة (الجزء الثالث)- قصائد- منشورات الاسوار- عكا 1981

25) الجانب المعتم من التفاحة، الجانب المضيء من القلب- قصائد- دار الفارابي- بيروت 1981

26) جهات الروح- قصائد- منشورات عربسك- حيفا 1983

27) قرابين- قصائد- مركز لندن للطباعة والنشر- لندن 1983

28) كولاج- تكوينات- منشورات عربسك- مطبعة سلامة- حيفا 1983

29) الصحراء- سربية- منشورات الأسوار- عكا 1984

30) برسونا نون چراتا- قصائد- دار العماد للطباعة والنشر- حيفا 1986

31) لا أستأذن أحداً- قصائد- رياض الريّس للكتب والنشر- لندن 1988

32) سبحة للسجلات- قصائد- دار الاسوار- عكا 1989

33) الرسائل- نثر (مع محمود درويش)- منشورات عربسك- حيفا 1989

34) مطالع من أنثولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام- بحث وتوثيق- منشورات عربسك حيفا 1990.

35) رماد الوردة دخان الأغنية- نثر- منشورات كل شيء- شفاعمرو 1990

36) أُخْذة الأميرة يبوس، قصائد - دار النورس- القدس 1990

37) الأعمال الناجزة (7 مجلدات)- دار الهدى- القدس- 1991

38) الأعمال الناجزة (7 مجلدات)- دار الجيل- بيروت- 1992

39) الأعمال الناجزة (6 مجلدات)- دار سعاد الصباح- القاهرة 1993

40) الكتب السبعة (قصائد)- دار الجديد- بيروت 1994

41) أرضٌ مراوغةٌ. حريرٌ كاسدٌ. لا بأس!- قصائد- منشورات إبداع- الناصرة 1995

42) خذلتني الصحارى- سربية- منشورات إضاءات- الناصرة- 1998

43) كلمة الفقيد في مهرجان تأبينه– سربية–

منشورات الأسوار– عكا– 2000

44) سأخرج من صورتي ذات يوم – قصائد–

منشورات الأسوار– عكا 2000

45) الممثل و قصائد أُخرى– منشورات الأسوار– عكا 2000

46) حسرة الزلزال – نثر– منشورات الأسوار– عكا 2000

47) كتاب الإدراك – نثر– منشورات الأسوار– عكا 2000

48) ملك أتلانتس– سربيات– دار ثقافات– المنامة –(البحرين) 2003

49) عجائب قانا الجديدة – سربية–منشورات إضاءات–

مطبعة الحكيم– الناصرة 2006

50) مقدمة ابن محمد لرؤى نوستراسميحداموس – شعر–

منشورات إضاءات–مطبعة الحكيم– ألناصرة 2006.

سميح القاسم

عجائب قانا الجديدة..



منشورات إضاءات

هاتف: 00 972 52 4281464
Email: ali.abasi@yahoo.com